محاضرة 8: الصحافة الاستقصائية في الوطن العربي

تجمع معظم الكتابات على تأخر الصحافة الاستقصائية في الدول العربية لأسباب وعوامل عديدة، فالصحافة الاستقصائية لا يمكن أن تنشأ إلا في ظل قدر كاف من الديمقراطية التي توفر الحماية للصحافة والصحفيين، وحتى أواخر القرن العشرين كانت معظم الدول العربية تعاني من ضعف المنسوب الديمقراطي في أنظمتها السياسية والتشريعية خصوصا ما تعلق منها بحريات النشر والتعبير والحصول على المعلومات مما لم يوفر الشروط والظروف اللازمة لظهور تحقيقات صحفية استقصائية يعتد بها .

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن الصحافة الاستقصائية عرفت في بعض الصحف المصرية منذ أواخر أربعينيات القرن الماضي، لكنها تعرضت للخفوت والتراجع خلال الخمسينات والستينات، وإن كانت قد عرفت لاحقا محاولة اكتساب أرضية لها مع عودة التعددية الحزبية في مصر خلال السبعينيات. ليعود مصطلح الصحافة الاستقصائية مع بداية الألفية الثانية بالبروز كمصطلح له وزن وميزة خاصة على الساحة العربية عامة بعد ظهور مؤسسات متخصصة في دعم الصحافة الاستقصائية، إضافة إلى اهتمام مراكز دولية بنشر ثقافة العمل الاستقصائي في البيئة الإعلامية على المستوى الدولي كالمركز الدولي للصحفيين.

وقد عرف العالم العربي خلال العقد الأول من هذه الألفية نمط الصحافة الاستقصائية بقدر متفاوت بين دوله وفق هامش الحرية المتاح والممارسة الديمقراطية المعترف بها في كل دولة، فمنذ 2005 سعى إعلاميون عرب لإرساء صحافة استقصائية عربية حيث شكلوا من اجل ذلك شبكة ARIJ إذ بدأت في الأردن وسوريا ولبنان، ثم توسعت لاحقا لتشمل فلسطين، مصر، العراق، البحرين، اليمن وتونس، وتقدم هذه الشبكة خدماتها للإعلاميين في الصحافة المطبوعة الإذاعات، قنوات التلفزيون والصحافة الالكترونية في مناطق انتشارها.

وفي عام 2010 أطلقت شبكة ARIJ والمركز الدولي للصحفيين برنامجا طموحا لتأسيس صحافة استقصائية من خلال إنشاء خمس وحدات متخصصة في الأردن فلسطين ومصر وهي : تسعى لتغطية المناطق الأخرى أيضا، وعموما فقد برز الاهتمام مؤخرا بالصحافة الاستقصائية في باقي الدول العربية الأخرى من خلال بعض الصحف أو المراكز الأكاديمية والتدريبية أو من خلال بعض الصحفيين بشكل فردي، لكن تلك الجهود لا تزال دون مستوى العمل الممنهج المرتكز على مؤسسات دائمة إلا القليل منها.

**تحديات ومعوقات الصحافة الاستقصائية في الوطن العربي:**

نتيجة لخطورة الدور الذي تلعبه الصحافة الاستقصائية في كشف الفساد ومواجهة الانحرافات وأشكال القصور السائدة في المجتمع ومؤسساته وهيئاته وأنظمته المختلفة فمن الطبيعي أن هذا النمط من الصحافة سوف لا يلقى القبول والترحاب المتصور والمتوقع، وخاصة من كل هؤلاء الذين يمارسون الفساد أو يدعمونه أو يستفيدون من بقائه على خلاف الجمهور والرأي العام، لذا تواجه الصحافة الاستقصائية في كثير من المجتمعات، وبالتحديد غير الديمقراطية منها الكثير من العقبات والتحديات والعراقيل التي قد توضع عمدا في سبيل منعها من القيام بدورها المناط بها، ويمكن الوقوف على جملة العقبات والتحديات التي تواجه الصحافة الاستقصائية وبخاصة في العالم العربي على النحو الآتي:

* محدودية ثقافة العمل الاستقصائي في الوسط الصحفي.
* انعدام وجود بيئة مشجعة على فن الصحافة الاستقصائية. غياب العمل الجماعي والتنسيق بين الصحفيين أو بين المؤسسات الإعلامية والإدارات أو الهيئات.
* عدم تجاوب المسؤولين مع الصحفي الاستقصائي.
* ضعف تأثير الصحافة الاستقصائية في الرأي العام .
* وجود نقص شديد في المعلومات وصعوبة الحصول على الوثائق والبيانات من مصادرها
* التضييق على الصحفيين الاستقصائيين من قبل السلطات وأجهزة الأمن والإدارة ومطاردتهم وتهديدهم وتوقيفهم في كثير من الأحيان.
* معارضة أصحاب شركات المؤسسات الصحفية الخاصة نشر القصص المثيرة للجدل خوفا على مصالحهم ومكاسبهم.
* الخوف من العقوبة من قبل ذوي المصالح السياسية أو التجارية والتهديدات المحتملة لسلامة الصحفيين.
* ضيق وضغوط الوقت أمام الصحفيين والإلحاح عليهم من قبل مؤسساتهم ورؤسائهم لإنهاء المهام الصحفية الاستقصائية المكلفين بها.
* عدم وجود الميزانية الكافية للسفر أو للمصاريف.

ويضيف البعض إلى أن الصحافة الاستقصائية في الدول العربية تواجه بعض العوامل والتحديات التي تمنع ظهورها بمفهومها الشامل أو تحد منها، وتتمثل هذه العوامل في:

-قوانين النشر التي ترهب أي عمل صحفي جاد يتعرض للفساد وخاصة فساد النخبة التي تمثل جماعات ضغط داخل المجتمع.

- نقص الكفاءات الصحفية المختصة في مجال الاستقصاء، وكذلك عدم وجود مؤسسات صحفية تهتم أو تختص بهذا النوع من الصحافة وخصوصا أنه يختلف بشكل كبير مع توجهات الصحف العربية التي لا يمتلك أغلبها سياسة إعلامية تحريرية واضحة المعالم وكثير منها تابع للدولة تغلب عليه الرسمية وتغيب فيه المنافسة والإبداع.

- عدم تجاوب الأنظمة السياسية مع ما تتناوله الصحف عن وقائع وحملات الفساد، فغالبا لا تؤدي الحملات في الصحف بالفعل لمحاكمات حقيقية لرموز الفساد أو لتخليهم عن مناصبهم بعد أن تحوم حولهم الشبهات، وفي الغالب تنتهي بحفظ قضاياها وخاصة إذا لم يكن للنظام السياسي مصلحة في ذلك.

**آليات النهوض بالصحافة الاستقصائية العربية:**

* هناك عدة إجراءات يجب الاستناد إليها للنهوض بهذا النوع من الصحافة في العالم العربي وتطوير مهامه منها:
* القيام بعملية مراجعة شاملة للقوانين المختلفة المتعلقة بتقييد الحريات، وإلغاء قوانين المطبوعات المقيدة للحريات، وتبني حملات وطنية لإقرار قانون حرية الوصول إلى المعلومات. حملات توعية للمجتمع المدني بضرورة حرية الصحافة، وبالتالي خوض معركتها، لكونهما يمثلان حلفا واحدا.
* حث القطاع الخاص على إصدار الصحف لكونها خط دفاع مهم ضد الفساد الذي يشوه العملية الاقتصادية ويوجهها نحو الاحتكار، والربح غير المشروع في كثير من الأحيان.
* فك الارتباط بين الصحافة والحكومات بتضمين القوانين المدنية مواد تمنع الحكومات من التملك في الصحافة.
* الحث على تأسيس نقابات وتجمعات تدافع عن الصحفيين وتقوم بالتعاون المشترك بين النقابات العربية والأجنبية في هذا الأمر.
* الترويج للصحافة الاستقصائية بوصفها الأهم في فضح قضايا الفساد في المجتمع.
* إقرار قوانين تشجع المنافسة وتمنع الاحتكار في السوق الإعلامية.
* العمل على إقناع المؤسسات الصحفية بتخصيص صفحات لمتابعة قضايا الفساد، وحث مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص على دعم صحف متخصصة في محاربة الفساد.
* تخصيص جوائز سنوية لأفضل موضوعات عن محاربة الفساد أو لأشخاص يحاربون الفساد، ويتفرغون لمواجهة هذا الوباء الذي ى فكك المجتمع ويسبب نتائج مريعة لجميع مجالاته وقطاعاته.
* تشجيع عقد دورات لتدريب الصحفيين على الصحافة الاستقصائية المتخصصة وسبل كشف قضايا الفساد الخطيرة في المجتمع .

**-الصحافة الاستقصائية في الجزائر:**

الصحافة الاستقصائية الجزائرية في هذه المرحلة لم تعرف الكثير من التطور أو التقدم، رغم تنافس القنوات التلفزيونية الخاصة على انتاج برامج استقصائية، غير أنّ مواضيعها انحصرت في الجانب الغرائبي، والاجتماعي الثقافي، المرتبط بنمط تفكير ، تسيطر عليه في الكثير من الأحيان خرافات و أساطير يحاول الصحفي تتبعها والتأكد من مدى ارتباطها بالواقع والخيال في الوقت نفسه. دون أن ننسى أن المحقق الصحفي يخضع للكثير من الضغوطات الخارجية ( مصادر المعلومة) والداخلية ( الالتزام بالسياسة التحريرية المؤسسة الصحفية وخطها الافتتاحي). كما تفتقد معظم الاستقصاءات في الإعلام الجزائري إلى العمق التحليلي، فالصحفي لا يقوم سوى بإعادة بناء الأحداث من جديد وفق رؤى مختلفة لشخصيات ارتبطت بالحدث، مع الاعتماد على أدلة هي في الحقيقة ليست سوى وثائق و أحكام قضائية تمنح له عن طيب خاطر دون أن يأتي بالجديد ودون البحث والتنقيب عن تفاصيل أهم ، توصله إلى فهم الظاهرة أو الحدث بسبب صعوبة الوصول إلى المعلومة .

أما عن الصحافة الاستقصائية فهي تكاد تختفي بين جنبات الصحف الوطنية ، ربما لصعوبة هذا النوع الصحفي الذي يتطلب إمكانيات مادية وبشرية ويستغرق الكثير من الوقت مقارنة بغيره من الفنون الصحفية، ولعدم وجود الطاقات البشرية المؤهلة في هذا الميدان.